

## من يجب أن يغير سلوكه؟

خبر الله خير الله  
إعلامي لبناني



بدل اللغ والدوران، لماذا لا يتوجه النظام في إيران إلى ما هو لب المشكلة مع الدول العربية المجاورة. لا يزال لب المشكلة تصرّفات إيران وسلوكها في الشرق الأوسط والخليج، وحتى في ما هو أبعد من ذلك.

كان آخر ما أقدمت عليه طهران في مجال اللغ والدوران توزيع وكالة إيرانية شبه رسمية نيا يتضمّن كلاماً عن متحدث باسم الحكومة الإيرانية. قال المتحدث الرسمي الإيراني إنّ المملكة العربية السعودية بعثت برسائل إلى الرئيس حسن روحاني عبر زعماء دول أخرى. اعتبر المتحدث الإيراني أنه "إذا كانت السعودية تسعى حقاً إلى تغيير في السلوك، فإن إيران ترحب بذلك".

المضحك المبكي في مثل هذا النوع من الكلام أنه للاستهلاك الداخلي الإيراني لا أكثر. إنه ابتعاد كامل عن الواقع القائم منذ ما يزيد على أربعين عاماً عندما قلبت الثورة الشعبية في إيران نظام الشاه. أعلن بعد ذلك قيام "الجمهورية الإسلامية" إثر تمكن آية الله الخميني من استبعاد كل القوى الليبرالية التي كانت تحلم بإيران جديدة ذات دستور عصري مستوحى من تاريخ نضالات كل القوى الحية في المجتمع من أجل قيام دولة مدنية. كان حلم معظم الذين نزلوا إلى الشارع من أجل التخلص من نظام الشاه أن يكون بلدهم نموذجاً لما يفترض أن تكون عليه دول المنطقة، أي دولة عصرية على تماس مع كل ما هو حضاري في العالم.

**لم تترك «الجمهورية الإسلامية» دولة عربية، من المحيط إلى الخليج، إلا وسعت إلى التدخل في شؤونها الداخلية، هل تستطيع «الجمهورية الإسلامية» تغيير سلوكها أم لا؟ هذا هو السؤال الذي يطرح نفسه ولا سؤال آخر غيره، إلى إشعار آخر**

ما حصل كان العكس. ولدت دولة قمعية تؤمن بـ"تصدير الثورة"، دولة ذات نظام لا يستطيع العيش من دون نقل أزماته إلى خارج حدوده. لم يحصل أن اعتدت أي دولة عربية على إيران حتى تغيرت السعودية أو أي دولة أخرى من دول المنطقة سلوكها تجاه "الجمهورية الإسلامية". على العكس من ذلك، تعمدت إيران الاعتداء على كل من تستطيع الوصول إليه، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، من دون سبب غير الرغبة في تمزيق المنطقة وتفكيكها ولعب دور القوة الإقليمية المهيمنة.

بعيدا عن الكلام الذي لا معنى له والذي ليس لدى إيران أي دليل من أي نوع على صحته، ما الذي فعلته السعودية مع إيران كي يصبح مطلوباً منها "تغيير سلوكها"؟ هل السعودية التي عملت على تسييس الحج وتحويله إلى تظاهرة ترفع شعارات من نوع: "الموت لاميركا، الموت لإسرائيل، اللعنة على اليهود"؟ هل السعودية التي شجعت على قيام ميليشيات مذهبية في العراق وسوريا ولبنان واليمن وحتى في البحرين؟ هل السعودية التي خرّبت لبنان وحولته إلى بلد شبه منبوذ يعاني حالياً من أزمة اقتصادية عميقة لم يسبق له أن شهد مثيلاً لها في تاريخه؟ هل السعودية من شجعت على عمليات تطهير ذات طابع مذهبي في

العراق؟ هل السعودية التي شاركت في الحرب على الشعب السوري وساهمت في تهجير أكبر عدد من السوريين من منطلق طائفي ومذهبي وبهدف واضح كل الوضوح يتمثل في حماية نظام أقلوي صار عمره 49 عاماً، نظام لا يؤمن سوى بالقمع، حرم السوريين من أي نوع من الحرية والكرامة؟

لا حاجة إلى تعداد كل ما قامت به إيران في السنوات الأربعين الماضية. الأكيد أن ليس السعودية التي لعبت دور الشريك الفاعل في الحرب الأميركية على العراق في العام 2003. من لعب دور الشريك الفاعل للإدارة الأميركية في الحرب كان إيران. من أدخل قادة الميليشيات المذهبية العراقية من إيران إلى العراق كان الدبابية الأميركية التي بلغت قلب بغداد في التاسع من أبريل - نيسان 2003. كان ذلك اليوم نقطة تحول على كل صعيد في المنطقة إذ انطلقت عملية "تصدير الثورة" مجدداً بفضل جورج بوش الابن الذي كان على رأس إدارة أميركية ليس معروفاً إلى الآن كيف يمكن أن تقدم على حماقة من نوع غزو العراق من دون خطة مدروسة لمرحلة ما بعد الغزو، وذلك على الرغم من كل ما ارتكبه صدام حسين بغيائه المعروف من جرائم كشفت أنه لا يصلح لأي موقع سياسي، فكيف إذا كان الأمر يتعلق بقيادة بلد مثل

العراق؟

حتى في ما يخص الحرب العراقية - الإيرانية بين 1980 و1988، لا يمكن وضع اللوم كله على صدام حسين ولا على الدول العربية التي دعمت العراق في تلك الحرب. لم يكن لتلك الحرب أن تحصل لولا استفزازات إيرانية للعراق، وهي استفزازات ذات طابع مذهبي جعلت الرئيس العراقي، وقتذاك، يتخذ قراره المتسرع بمهاجمة إيران. هناك جدل طويل عن الظروف التي رافقت نشوب الحرب العراقية - الإيرانية، جدل لا طائل منه. لكن الحقيقة الوحيدة الثابتة أن الحرب ما كانت لتستمر ثماني سنوات لولا العناد الإيراني الذي استفز كل دول المنطقة وخدم أميركا أولاً. كانت إيران وراء دفع صدام حسين إلى الحرب مستفيدة، إلى حد كبير، من جهله بالسياسة وقصر نظره وفشله في الانتقال من رجل قروي يؤمن بمبادئ العشيرة والنار التي لا علاقة لها من قريب أو بعيد بالتوازنات الإقليمية والعلاقات بين الدول، إلى رجل مدني.

على الرغم من الاعتداءات الإيرانية الأخيرة على منشآت نفطية سعودية، لا تزال المملكة تفضل الحلول السياسية مع إيران. وهذا ما عبّر عنه ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان في مقابلاته التلفزيونية الأخيرة مع إحدى المحطات الأميركية. هذا لا يعني أن على السعودية تغيير سلوكها، بمقدار ما يعني أن على إيران أخذ العلم بأن اللغ والدوران لن ينفعها في شيء. هناك عقوبات أميركية بدأت تؤثر عليها بقوة، لكنها ما زالت قادرة على التحايل عليها وإن في حدود معينة لا تزال محدودة. في النهاية هل تريد إيران أن تكون دولة طبيعية في المنطقة أم لا؟ لم يوجد من يعتدي على إيران في السنوات الأربعين الماضية. لم تترك "الجمهورية الإسلامية" دولة عربية، من المحيط إلى الخليج، إلا وسعت إلى التدخل في شؤونها الداخلية. هل تستطيع "الجمهورية الإسلامية" تغيير سلوكها أم لا؟ هذا هو السؤال الذي يطرح نفسه ولا سؤال آخر غيره، إلى إشعار آخر.

يبقى لبنان خير مثال على الفارق بين إيران والسعودية. لم تقدم المملكة إلى لبنان واللبنانيين سوى الخير طوال عشرات السنين. في المقابل، عملت إيران، ولا تزال تعمل من دون كلل، من أجل تغيير طبيعة المجتمع اللبناني ودور لبنان في المنطقة. بعيداً عن كل ما هو عربي فيها، بعد نجاحها في تغيير طبيعة المجتمع الشيعي في البلد...



محمد طعيمة  
كاتب مصري

"إن غابت مصر فقل على العرب السلام، وإن غابوا عنها تصبح كرة معلقة في الفراغ، وهذا ما لا يليق ببلد يحترف صناعة التاريخ والحضارة".

المقالة للمؤرخ اليمني لطف الله جحاف، المعاصر للغزو الفرنسي لمصر. أراها، دائماً، بوتقة لدماء أمتها، كما هي لثقافتها بتنوعاتها. لا أتحدث عن نماذج بدت فريدة وترسخت في ذاكرتنا، من سليمان الحلبي لجول جمال، دافعت بروحها عن أرض النيل، بل عن "حشود" غادرت وطنها لتدافع عن وطنها الثاني، مؤمنة، حتى قبل تبلور الخطاب القومي، بوحدانية المصير والعدو.

الوقائع التاريخية موثقة وتحتاج المؤلفات، وحتى لا نتوه بينها، نتوقف عند حدثين فارقين، كل منهما ضمن سياقه، في تاريخ مصر وأمتها العربية. الأول، الغزو الفرنسي لمصر. مقارنة بتقهقر المحتلين القدامى، الترك، أمام الغزاة الجدد، يوقف الجبرتي، في "مظهر التقديس بزهاب دولة الفرنسيين"، ليس فقط مساهمة مئات العرب الدارسين بأروقة الأزهر، بل تدفق آلاف المتطوعين العرب على المحرسة لمقاومة غازيها. فقرة مكثفة، حملها الصحافي حمدي

عبد الرحيم، منقياً بين كتب أرخت للمد القوي الذي انتفض دفاعاً عن قلبه، ولنجدة أخوتهم المصريين، بعد أن زلزلتهم أخبار تدنيس أراضي المحرسة. أبرز المواقف هنا، مخطوط للمؤرخ اليمني لطف الله جحاف بعنوان "دور نخوة العين في سيرة الإمام المحصور وأعلامه الميامين"، حققه الباحث في الشأن اليمني مصطفى سالم. قال جحاف في مقدمته إنه كتبه ليضع تحت عيني حاكم اليمن "حقيقة يجب ألا تغيب"، هي المقالة التي تصدّرت مقالتي.

غالباً، كان يستحبه على دعم حملات اليمنيين، التي لم تكف بالدعاء لنصرة القاهرة، فحمل القادرون منهم السلاح إلى مكة ثم المدينة، لينضموا إلى إخوانهم المتطوعين من الحجاز والشام والمغرب، المتواجدين فيها للتجارة أو لأداء المناسك. تكونت كتائبهم الأبرز بقيادة الإخوة محمد وطاهر وحسن الجبلاني، ويعبروا البحر الأحمر إلى القصير بمصر، قاد الأول 4 آلاف متطوع والثالث ألفين.

وكما كانت مساهمة "عرب الأزهر" فاعلة بمعارك القاهرة، خاصة في بولاق، كانت بصعيد مصر، ليستندج ديزيه قائد الاحتلال في الوجه القبلي بنابليون "نخوض معارك عسيرة مع الفلاحين والمتطوعين المكّيين، وكاننا على حافة العالم، نفتقر لكل شيء". ديزيه نفسه تلقى من بليار قائد الاحتلال في قوص عن معارك عانتها قواته من بيت لبيت، يقول "أمرت باقتحام البيت وشق الطريق إلى باحته، وإحراقه، فهبط المكيون منه عراة، بمسك كل منهم سيفاً بيد وبالآخرى بندقية، ويطلقون النار



## دماء عربية على أرض النيل

بلواعين مدرعين، والمغرب بلواء مدرع، وعلى الجبهة الأردنية تمركز لواء مدرع سعودي.

هذا ليس جرماً دقيقاً، فالقوات السعودية تمركزت في الجولان بكافة أسلحتها، من الطيران للخدمات الطبية، ويذكر لها معركة "تل مرعي" يومي 20 و21 أكتوبر. ومشاركة تونس والكويت، قدرتها مصادر أخرى بلواء مشاة التونسي كان بقيادة اللواء ورئيس الأركان، في ما بعد، عبدالعزيز سكيك، الذي استشهد في تحطم هليكوبتر عسكرية يوم 22 يناير 2002، مع 13 من أركان الجيش التونسي، في جريمة معلقة في رقبه الرئيس المعزول زين العابدين بن علي، ومطابقة لاغتيال الشهيد المصري أحمد بدوي، وزير

على جنودنا ويحاولون إطفاء النار باقدامهم".

ينقل عبد الرحيم في موقع أصوات، 9 سبتمبر 2019: برع المتطوعون العرب في المعارك "النهرية"، حاصروا السفينة الفرنسية الإحدث، موراندي، بصنادل نهرية، فأمر قبطانها بحرقها حتى لا تصيب غنيمة للمكيبين، الذين عادوا من مباح للنيل بحارتها أسرى. ومن الصعيد انتقلت كتائب المتطوعين العرب إلى القاهرة والدلتا، مواصلة مقاومتها للغزاة مع المصريين، حتى انسحابهم. الحدث الثاني تتجدد ذكره هذه الأيام، نصر أكتوبر 1973، فمع الحديث عن مواجهة "العدو المشترك"، يتقدم دعم الرئيس الجزائري الراحل، هواري بومدين، المفتوح، ومؤتمر الخرطوم، الذي شهد المصالحة بين القاهرة والرياض، وإقرار خطة لتغطية خسائر "دول الطوق"، وإعادة تسليح جيوشها، لكن كثيرين من المصريين لا يعرفون أن مقابر جيشهم تحضن رفات شهداء من 8 دول عربية، تخضبت بدمائهم الطاهرة أرض القتال.

يُقدّر اللواء د. إبراهيم شكيب، المحلل العسكري، الذي شارك في حروبنا من 1956 حتى 1973، عدد المشاركين العرب في العبور بما بين 8 و10 آلاف مقاتل. شكيب كان رئيساً لعمليات منطقة البحر الأحمر خلال أكتوبر.

نقول "يُقدّر" لأنه لا توجد أرقام رسمية معلنة، ولا توثيق معتمد للوقائع. وعلى من يريد أن يدقق أن ينقب في حوارات وتقارير وروايات وشهادات شخصية، تتفاوت بين المبالغة في حجم ونوعية المشاركة، وبين نفي تام لحادثها، من مصريين.

لـ"الأهرام العربي" 6 أكتوبر 2012، يُفصّل "شكيب" نوعيات المشاركة وفق معطياته: الجزائر... 3 أسراب جوية، وصلت في 9 و10 و11 أكتوبر، ولواء مدرع.. ثم لواء ثان في 17 أكتوبر.. ليبيا.. سريين اثنين ميراج، ولواء مدرع.. العراق.. سرب هوركر هنتر.. المغرب والسودان.. لواء مشاة.. الكويت وتونس.. كتيبة مشاة وعلى الجبهة السورية، شارك العراق به أسراب جوية وفرقة مدرعة وأخرى مشاة، والأردن

الدفاع حينها، و13 من قيادات جيشه، في مارس 1982. بدوي كان قائداً للجيش الثالث الميداني خلال أكتوبر، وتواترت روايات عن تصفيته بأوامر من أنور السادات.

توقفت عند المشاركة الكويتية، فقد بدأت في 4 يونيو 1967، ثم بسرب جوي، عام 1970. تحلّل ثلث جيشها، لواء اليرموك، الهزيمة معنا، وشارك في حرب الاستنزاف، التي جرح فيها الشهيد فهد الأحمد الصباح، الذي سيتولى إخراج ياسر عرفات من الأردن خلال أيلول الأسود 1970، ويستشهد أثناء مقاومته غزو صدام حسين لوطنه. و"اليرموك" وهب تراب مصر 29 شهيدا كويتيا في حربي الاستنزاف وأكتوبر، وعناصره كانت أول من رصد الغفرة. الثلث الثاني من الجيش الكويتي، لواء الجبهة، انضم للجبهة السورية قبل الحرب بشهر. وسنويا، تنظم السفارة المصرية في الكويت، حفلا لإحياء ذكرى 29 شهيدا، وتستقبل مقابر الجيشين، الثاني بالإسبانية، والثالث بالسويس، عائلاتهم.

ومع بدايات يوليو 1967، انضم للجبهة المصرية جيش التحرير الوطني الفلسطيني، ولواء مشاة جزائري، وآخر سوداني، سُحبت إحدى كتائبه مع محاولة انقلاب هاشم العطا في يوليو 1971، لحماية الخرطوم، ثم عادت للجبهة، في أغسطس 1972.

في حديث المشاركة، نقرأ أسماء قائد الجيش الليبي خليفة حفتر، والجزائري عبدالمالك فناييزية، وزير الدفاع حتى سبتمبر 2013، وأحمد قايد صالح.. حاكم الجزائر للفعلية الآن. ونسمع مناقشة للجيش المصري من عميد عراقي متقاعد، غزوان عدنان، شارك في الضربات الجوية الأولى مع 14 من مواطنيه، باستعادة الأسماء التي كرمته بها القاهرة، خاصة نجمة سيناء، وأجبره صدام حسين، مع أقرانه، على ردها بعد كاسب ديفيد. متنبهاً ألا يموت قبل أن تعود لتزيين صدره.. "فهي من مصر"، وفق تعبيره لفضائية أم.بي.سي، سبتمبر 2012. يوماً ما، لا أراه بعيداً، سيحضن إستان القاهرة عائلة "غزوان"، وكل من شاركوا الهزيمة والنصر، وأقارب من استشهدوا أو رحلوا، فمصر لا تنسى فضل من وقف معها وقت الشدة.

